اتحاد

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1753) السنة السابعة
الخميس (25) اذار 2010

عمّة زكية

2

زكية خليفة والمسرح السياسي

13

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

عمّة زكية

يوسف العاني

الحديث عن هذه الانسانة الفنانة المناضلة لا يمكن ان يكون حديثا تقليدياً شأن الحديث عن كثيرات من النساء العراقيات الطيبات الاصيلات اللاتي يعتز بهن العراق على مدى سنوات طويلة وعبر اكثر من مكان وزمان . انها تحمل خصوصية ربما تجمع – او جمعت – كثيرات ممن عرفن خلال زمن متغير تراكمت فيه احداث واحداث . و"زكية خليفة" هي الانموذج العالمي والمثل النزيه والنظيف للمرأة العراقية التي لا تستطيع إلا ان تنظر اليها باحترام كبير وبتقدير يمتزج باعجاب لن يغيب عنها وأن اختلفت الازمان والمواقع كما اشرت. يكفي ان الجميع لايجرؤون على ان ينادوها او يسموها باسمها "زكية" حتى من هم اكبر منها عمراً بسنوات ليست بالقليلة، لابد من أن نقول لها "عمة زكية"، انها "العمة" الراعية والحنونة والرقيقة حتى في عتابها او لومها لمن يحتاج الى عتاب او لوم ، بل قد يستمع لنصحها وتوجيهها ليشعر براحة نفسية أولا لانها التفتت اليه بمحبة واعتزاز كي لا يقع في خطأ مقصود او غير مقصود ، ولانها ثانياً تبعث الدعة والامل في النفس كي تحول الظروف الصعبة الى "سهولة" يمكن تجاوزها بل التغلب عليها بالثقة والايمان والادراك الواعي لحقيقة الاشياء. و"عمة زكية" لايمكن ان ينساها من عرفها او تعرف عليها ، حتى الذين يلتقون بها على عجل فهي تظل في البال ذاك "الحضور" المحترم و المؤثر.

في مسار الحركة الوطنية كنت واحداً من الباحثين عن كثيرين تأتينا اخبارهم دون ان نلتقي بهم، فجدران السجون قد عزلتهم عنا، ولكني كنت ابحث بفضول كبير لمعرفة المناضلات الباسلات الامهات والاخوات حتى صغيرات السن اللاتي يواجهن السجن وهن في بداية اعمارهن، وكنت اسمع باسمها حسب، لكن إحساسا عميقا يدفعني لان اعرفها ذات يوم بل اسعد بوجودها رفيقة واختاً كريمة، بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، نشطت فرقتنا "المسرح الحديث" واتسع نشاطها لتكون الاذاعة واحدة من المنابر التي نستطيع من خلالها الوصول الى "المستمع" وليس المشاهد فحسب وان يكون المجال او ميدان العمل لاوسع الجماهير، وعرفنا ان شرائح كبيرة من الشعب العراقي لاسيما المناطق البعيدة عن المدن "المسرح" من حيث الظرف الذي يكون فيه المتلقي، وان فرقتنا المسرحية بحاجة الى كادر هو من ذاك الوسط الذي نبغي الاقتراب منه وان عدداً منهم مبدعون لديهم امكانيات فنية وفكرية كي تصل اصواتهم ونوصل الرسالة التي نريدها لهم.

بالمصادفة كنت في اذاعة بغداد وكانت هناك مجموعة من الفتيات يقدمن برنامج عن المرأة ، وقفت على طرف استمع اليهن واراقبهن بحمية واعتزاز واذا بزكية امامي

زكية خليفة التي صارت ممثلة في الفرقة تستمع لما يقال لها من ملاحظات وهي تردد باعتزاز انها تريد ان تتعلم، وكانت في ذات الوقت تعلم الاخريات والاخرين، انموذجا للإخلاص والحرص ونسياناً للمنافع الذاتية المجردة بل كانت قدوة وعنصراً قياديا عبر العمل وليس بالحديث وحده الذي كثيرا ما يردده غيرها دون دليل او تطبيق

واحدة منهن تقف امام المايكروفون ، وهي تضحك لانها هكذا وبعد سنوات طويلة من العزلة والبعد تجد نفسها تخاطب "الجماهير" الواسعة عبر قطعة الحديد هذه. "المايكروفون" ، انتهى تسجيل البرنامج واذا بي اتقدم اليها واناديها "زكية هاي انتي وين؟" التفتت الي وقالت بفرح "يا....هذا استاذ يوسف" ، ولم يطل اللقاء الا دقائق معدودة لتكون زكية عضوة في فرقتنا تشارك المجموعة التي تقدم التمثيليات الاذاعية الموجهة الى الفلاحين والمنتزعة من مشاكلهم وقضاياهم المتعددة، بل راحت تكتب نصوصاً لهم مع المجموعة التي معها وتندمج معنا في الفرقة لتصبح وبكل جدارة عنصراً قيادياً في فرقة المسرح الحديث ثم فرقة المسرح الفني الحديث .

زكية خليفة التي صارت ممثلة في الفرقة تستمع لما يقال لها من ملاحظات وهي تردد باعتزاز انها تريد ان تتعلم، وكانت في ذات الوقت تعلم الاخريات والاخرين، انموذجا للإخلاص والحرص ونسياناً للمنافع الذاتية المجردة بل كانت قدوة وعنصراً قياديا عبر العمل وليس بالحديث وحده الذي كثيرا ما يردده غيرها دون دليل او تطبيق .

منطلق زكية مصلحة الفرقة ودورها في تقديم ما يأخذ بيد الناس نحو الخير والصدق وبناء الانسان ، وهكذا راحت تعمل في المسرح ثم السينما وهي تحسب بل تؤكد على ان الفن واجهة نضالية مؤثرة لكن بصيغة تبعد عن الصيغ السياسية المباشرة، وهذه المسؤولية هي التزام كبير وصعب لكنه مفخرة لمن يستطيع ان يثبت جدارة وابداعاً، وفي هذا المعنى راحت زكية تعمل بجد متحملة اعباءً ومجهوداً بتعب يتجاوز قدراتها الصحية وظروفها الخاصة لتثبت للاخرين ان المعاناة هنا سعادة لايمكن الحصول عليها الا بالإبداع والإجادة، وراحت ايضا "تربي" من هن اصغر منها سناً منطلقة اولا وقبل كل شيء من تقديس العمل وتعميق الاحساس بالمسؤولية وتادية دورها كانسانة ثم رائدة ومناضلة في كل موقع تكون.

"عمة زكية" اكتسبت هذا اللقب لا بأمر اداري او منحة من فوق بل من اعماق ومشاعر الذين عرفوها صغاراً وشباباً وكباراً من اللاتي عرفنها او الذين عملوا معها او تعرفوا عليها ، وهي رغم ذالك القرب الحميمي للناس تظل او ضلت في الظل الا حين يتطلب عملها الظهور المناسب او الحضور الحيوي الذي لا تستطيع إلا ان تعجب به وتتأمله بمحبة حد العشق. عمة زكية يطول الحديث عنها انسانة ومناضلة وفنانة وما هذه الكلمات التي جاءت مني متاخرة الا لون من الوفاء لها عبر خمسين عاماً كنا معاً عن قرب وعن بعد اصدقاء محبة وعمل ورفاق درب سعدنا بمعاناته وصعوباته ورسمنا للغير صوراً تستأهل الاعتزاز منا اولا ثم من الاخرين و"عمة زكية" هي الوجه والكيان الكبير فيه.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

في الوقت الذي قرأت فيه خبر رحيل المناضلة زكية الزيدي (العمة زكية كما كانت تحب ان يناديها الجميع) شاهدت صورتها وهي تقدم نفسها مرشحة لقائمة اتحاد الشعب.. خبران يحملان من المفارقات والأسى بقدر ماحملت حياة هذه المرأة..
حياة كانت تتجاذب بين القوة المتناهية امام الصعاب وفي مواجهة اعتى الأنظمة الدكتاتورية والرقة حين يأخذك الحديث معها فكأنك تجلس في حضرة عجوز من عجائز الريف ببساطة مفرداتها وبالسخرية المرة التي تختفي تحت الكلمات هكذا كنت أرى العمة زكية وانا أخطو أولى خطواتي باتجاه مسرح بغداد لالتقي بعض الأصدقاء او لاكمل حواراً انقطع مع (الخال) خليل شوقي.

العمة زكية بين الحلم والاحتجاج

علي حسين

..في ذلك المكان الذي اصبح اليوم جـزءاً من ماض جميل التقيت المرة الأولى مع العمة زكية امرأة لاتـوحـي مـلامحـها وحـركـاتـها بـانـها ممثلة وانـها بـعد دقائق ستصعد خشبة المسرح لتتقمص شخصية من شخصيات يوسف العاني اوغائب طعمة فرمان ، في الحالتين مع زكية الإنسانة وزكية الممثلة نجد أنفسنا في حضرة امرأة اختصرت حياتها بكلمتين: الشجاعة والبساطة.

×××

المرة الأخـيـرة التي شاهدت فيها العمة زكية عبر صور أرسلتها إحـدى الـزمـيـلات مـن السويد شاهدتها تسير في شوارع لم تألفها غريبة ومغتربة وهي تفتش عن مجتمع دافئ ومكان أليف وزمن سوي يعترف بالإنسان والضحك وحرية اللسان وشقاوة الأصحاب وترف الأمسيات.. في سنواتها الأخـيـرة تسكعت العمة زكية في شـوارع الـغـربـة ولم تكن تعرف لا هي ولا نحن - محبيها - ان النهاية ستكون في سطور قليلة اختتمت بها حياة امـرأة وفنانة رفضت الاستسلام وغرد ت خارج السرب.. في الصور على الفيس بـوك وانـا اطيل النظر لملامح وجهها المحبب الى النفس اقرأ فيه رحلة التعب والمواجهة ممتزجة بأفراح ومسرات الماضي.. تعب في العينين وابتسامة يختلط فيها الحزن والشرود وبساطة ترتفع على التصنع فأغمض عيني وانا أتخيل صوتها ممتزجا بعبارات ريفية عذبة: (عمه الصبر حلو ، لاتيأسون). لكأن الفنانة الكبيرة قد اكـتـفـت بـالأحـلام وتخففت من عقد المثقفين.. تقول كلمتها بـحـكـمـة ولا تـكـتـرث بـزوبـعـة الاحكام.. تنظر العمة زكيه الى العالم الذي يحمل بـرودة المنطق وحـرارة القلب.. بين الحـزن على حلم تهاوى والاحتجاج الصارخ على مايكسر الحلم..فكانت تصر دومـا على ان تكون في الموقف الصح وان تقول ما تؤمن به وان تمثل صحيحا وان تكون صورة لفنانة الشعب ومرآة العقل

في مدينة هلامية مثل كل مدن الغربة..وفي غروب لايشبه غروب بغداد.. وفي لحظة تتداعى فيها الأمكنة والأزمنة أنهت العمة زكية أغنيتها الحزينة وهي تلقي النظرة الأخيرة الى عالم شرس كله قسوة وأوجاع.. متسائلة أين الوطن..أين المنفى..والاهم أين الذين يتذكرون ان هناك فنانة اسمها زكية خليفة أصرت حتى اللحظة الأخيرة إن تشارك شعبها الامه وافراحة فقررت ان تدخل الانتخابات تحت قائمة اتحاد الشعب

والإرادة تدافع عن المبادئ النقية في معركة الحرية دون ان تكترث لحسابات الربح والخسارة.تمزج بين الحلم والحياة.. تكون الحياة مصدر الهامها ويكون الحلم صوت المستقبل الواعد.في أيامها الأخيرة حملت زكية خليفة سنواتها التي تعدت الثمانين بعيدا في المنافي ترتجف اليد وتظل الذاكرة شابة تجول في شوارع بغداد تصطاد حكايات العراقيين في الأربعينيات وأحـلامـهـم في الخمسينيات وقلقهم في الستينيات وضياعهم في السبعينيات وبؤسهم في الـثـمـانـيـنـيـات وتـشـردهـم في التسعينيات ونشم رائحة الجنوب كلما طلعت علينا العمة زكية بقامتها الفارعة من على شاشة التلفزيون ونشم عبقها حين تعترف لصاحب البايسكلجي (عيني صاحب الحكومة بعد ماتتأمن .. حكومة خرط) ونحس نبضها في ملامح زوجـة الـفراش المسحوقة التي وجـدت في عـمـل زوجـهـا عند الحكومة امتيازا تتباهى به امام نساء المحلة .. في الوقت الذي كانت فيه زكية خليفة الإنسانة في خصام مع معظم الحكومات لأنها اكتشفت منذ البداية عكس رازقية زوجـة الـفراش بـان الحكومات جميعها (خرط في خرط).

تنتمي زكية خليفة الى طائفة من الممثلين الأثـيـريـن عـلـى قلب المشاهد.. ممثلة تتمتع بعبقرية لها طعم خاص سرعان ما تترك اثـرا في النفس.. حين تشاهدها تشـعـر وكـأنـك قـرأت كتابا ممتعا.. فعند هذه الفنانة قدرة عـجـيـبـة على تشرب الثقافة والحـيـــاة الـكـامـنـة خـلـف هـذه الـثـقـافـة.. فعندما تقف الـعـمـة على خشبة المسرح يكون عقلها وقلبها وأعصابها جـزءاً من الأداء فتعطي كل ماعندها في البروفة والعرض المسرحي فتراها عندما تبكي على المسرح هي التي تبكي وعندما تضحك هي التي تضحك وعندما تبدع الشخصية لم تكن تتوارى خلفها وإنمـا تـقـف بـالـنـد مـنـهـا.. كتب ستانسلافسكي مرة ان على الممثل ان يكون مخرجا لـدوره وهـو لم يقصد بـالـطبـع ان يضـع الممثل مكان المخرج بل اراد التحدث عن أهمية المبادرة عند الممثل وعن رؤيـتـه الواسعة ودرجـة مهارته وهكذا كانت زكيه خليفة الممثلة ذكية في معظم أدوارهـا ، ذكية تعرف مـاذا تفعل وإنـهـا لاتمثل الدور وحسب بل تقوم بتفسيره والتعبير عن وجهة نظرها تجاه الأشياء والشخصية التي تؤديها ويمكنك مشاهدتها منفردة وحدها فتستمتع وكأنك تشاهد مسرحية بطلتها ممثلة واحدة ولكن بنفس الـوقـت تـراهـا تـخـضـع بحكمة وهـدوء للعمل المسرحي الكلي.. في المسرح والتلفزيون تتصرف العمة زكية وكأنها شخصية من شخصيات الماضي ،خـارجـة من حضن الأحـلام بفوطة بغدادية او عصابة جنوبية وابتسامة محـبـبـة إلى الـنـفـس فتخطف قـلـوب وابـصـار المتـفـرجـين.

×××

تـدور احـداث مسرحية النخلة والجيران في احياء بغداد الفقيرة وزمنها هـو زمـن الـحـرب العالمية الثانية وزمن الاحتلال الانكليزي للعراق في هذا الزمن الذي يعصف بالعالم ويبني ملامح عالم جديد تقف شخصيات النخلة والجيران على مسرح قاعة الخلد ببغداد عام ١٩٦٩ مكسورة تـدور في حركة عاجزة.. تتلمس الأشياء ولاتدرك حركتها..

هناك نشاهد زوجة رزوقي الفراش (العمة زكية) تحاول ان تفرج عن احزانها الدائمة بالتبجح بحياة العز التي يعيشها السيد المدير الله يسلمه وبـالـخـدمات التي تقدمها الحكومة الـلـه يسلمها لزوجها رزوقـي، تعيش من تـراكـم الالم ولسعة الفقر لكنها تكابر فمادامت الحكومة سالمة فان حياتها ستظل سالمة ايـضـا.. مخلوقة جديرة بـالـرثـاء محكومة ببيئة تتحرك على مسرح الـفـقـر الـكـلـي وهي تكشف عن فقر في الجسد والفكر والـروح حين تقول (المدير الله يسلمه ميكدر يسوي أي شي الا يكلله لرزقي.. أي عيني ارزوقي احـجـايـتـه ماشيه يم المدير الله ايسلمه) وقد ذكـرت لي العمة زكية وانـا اجـاذبـهـا الـحـديث في احدى زوايـا مسرح بـغـداد انها حين وقع عليها الاختيار لتمثيل هـذه الشخصية كانت قد قـرأت رواية غائب طعمة فرمان وتعرف غـائـب شـخـصـيـا ولـكـنـهـا أثـنـاء الـتـدريـبـات راجـعـت الشخصية من جديد محاولة استيعاب شرح الروائي لتفاصيل الشخصية من اجل إيجاد توازن بين الشخصية في الـروايـة والايـحـاء التمثيلي على المسرح

×××

في مدينة هلامية مثل كل مدن الـغـربـة..وفي غـروب لايشبه غروب بغداد..وفي لحظة تتداعى فيها الأمكنة والأزمنة أنهت العمة زكية أغنيتها الحزينة وهي تلقي النظرة الأخـيـرة الى عالم شرس كله قسوة وأوجـاع.. متسائلة أين الوطن..أين المنفى..والاهم أين الذين يتذكرون ان هناك فنانة اسمها زكية خليفة أصرت حتى اللحظة الأخيرة إن تشارك شعبها الامه وافراحة فقررت ان تدخل الانـتـخـابـات تحت قائمة اتحاد الشعب مخاطبة مواطنيها الذين لن ينسوها حتما: (اسمي زكية خليفة محمد الـزيـدي، مرشحة قائمة "اتحاد الشعب" التي تضم مجموعة كبيرة من المناضلين من شيوعيين وديمقراطيين يساريين ووطنـيـين، وشخصيات من كل الطوائف والأديـان في مجتمعنا العراقي.

ومن خلال مسيرتي النضالية التي استغرقت ٦٠ عاما نذرتها بالكامل من اجل خدمة شعبي ووطني، ولم يثن عزيمتي الإرهـاب والتعذيب والسجن والتشريد. كنت اعتبر ما يقع علي من حيف هو شرف عظيم نـذرت نفسي لـه، من اجـل تحرير بـلادي من الاستعمار والتبعية والـحـكـم الإقـطـاعـي الـرجـعـي. لـقـد عـملت بـجـد، مـع غـيـري من المناضلات العراقيات الباسلات، لخلاص نصف المجتمع، واعني المرأة العراقية، من القيود المكبلة بـهـا، والـتـي حـرمت طـوال عقود من السنين من أبسط حقوقها الطبيعية، وهمش دورهـا، حتى على مستوى العائلة. واصلت النضال ولم يساورني اليأس او فقدان الأمل بحتمية انتصار إرادة شعبي ونهوضه)، كانت هذه آخر كلمات العمة زكية. فانتخبوها من اجل عراق أجمل وابسط وازهى.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكية خليفة مناضلة من طراز خاص

فقدان المناضلة والفنانة الكبيرة زكية خليفة فقداناً لوجه صاف آخر لجيل كامل من القامات العراقية العالية.

عندما باغتنا في الآونة القريبة الماضية، وفي غمرة انشغالنا بالحملة الانتخابية، خبر رحيل الرفيقة الغالية زكية خليفة، تملكنا الشعور بالغدر.

نعم، لم نكن نجهل تقدمها في السن، ولا المصاعب الصحية التي تعانيها وتثقل كاهلها المتضائل والمتزايد وَهَنا. لكن هذا الواقع الجليّ الذي كنا نقف عاجزين إزاءه، كان يقابله واقع آخر مفعم بدوره: واقع حبنا لهذه الإنسانة النبيلة الجميلة، واحترامنا لها رفيقة مناضلة نذرت نفسها للناس وللوطن، وتقديرنا لها شخصية مرموقة في عالم المسرح والثقافة في بلادنا.

يا لَلؤم الموت حين يختطف من بيننا من نحب ونحترم.. ويالغدره ووحشيته!، ولقد حبسنا الدمع يوم ودعناها في ذلك التشييع المهيب، لنعود على الفور كل الى موقعه في المعركة المندلعة على مستقبل العراق. المستقبل الذي وهبت الفقيدة قضيته زهرة حياتها، وعصارة مسيرتها الكفاحية المديدة مع رفيقاتها ورفاقها في الحزب الشيوعي والحركة الوطنية، ومع شقيقاتها في رابطة المرأة وعموم الحركة النسوية العراقية.

برحيل الرفيقة زكية خليفة فقدنا وجها صافيا آخر لجيل كامل، بل لأجيال من القامات العراقية العالية، نساء ورجالا، ممن كنا ونبقى نرنو إليهم بفخر وامتنان وعرفان.

لقد كُتب لهم ان يردوا الحياة قبلنا في هذا العراق العزيز. وقد وجدوها ضاجّة بأسباب الشقاء، الى جانب الوعد السعادة. واكتشفوا فيها معتركا مشتعلا قاسيا، لا يهدأ ضُرامُه إلا لكي يستعر من جديد. وعرفوا في لحظات هنائها العذبة الخاطفة، غايةً دونها الكفاح المضني والتضحيات الجسام.

وكانت مأثرتهم انهم لم يجفلوا، ولم يترددوا.. بل اقبلوا عليها متحدّين، وخاضوها بملء جوانحهم وبصائرهم وعزائمهم، وشربوا حتى الثمالة من مراراتها الغزيرة مثلما تذوقوا حلاوتها الفريدة النادرة.. وأعطوا ما يعجز عنه غيرُ الكرام العظام!

وما كان أكثرهم! صفوفا بعد صفوف! قوافلَ إثر قوافل! يهبون أرواحهم وقوفا في جنبات الدرب الصاعد، الطويل والقاسي، لتبقى راية الإنسان والحرية والكرامة رفرافة لا تنتكس، خفاقة في السماء!.

نقول ذلك ونؤكده، كي يكون واضحا إننا لا نتحدث عن بعض هنا، وأفراد معدودين هناك. فقد أنجب شعبنا، وربّى حزبنا الشيوعي خاصة، المئات والآلافَ منهم. مناضلين أشداء ضد الاستبداد والقهر والظلم، ومن اجل العدل والخير والسعادة لشعبهم. لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا يعرف الخَوَرُ طريقا الى نفوسهم، متقحمين لا يهابون ولا ينكفئون.

وقد خلّف لنا كل منهم قصةَ حياة ونضال وعطاء برّاقة، مفعمةً بالعبرِ والدلالات، وحافلةً ببواعث الارتقاء والسمو الإنسانيين، ومشعة أملا متجددا وتفاؤلا لا يخبو.

تركوا وراءهم مئات وآلاف القصص، التي ما زالت في انتظار من يعود اليها ويجمع قصاصاتها ويدوّنها، ويحيلها مصابيح تنير في أجيالنا الجديدة النفوس وأمامها الدروب، ومن يثري بها مكتبتنا الوطنية التي عاثت بها حكومات الاستبداد والظلام فسادا وإفسادا، وعملت فيها تشويها وإفقارا.

لم نكن نجهل تقدمها في السن، ولا المصاعب الصحية التي تعانيها وتثقل كاهلها المتضائل والمتزايد وَهَنا. لكن هذا الواقع الجليّ الذي كنا نقف عاجزين إزاءه، كان يقابله واقع آخر مفعم بدوره: واقع حبنا لهذه الإنسانة النبيلة الجميلة، واحترامنا لها رفيقة مناضلة نذرت نفسها للناس وللوطن، وتقديرنا لها شخصية مرموقة في عالم المسرح والثقافة في بلادنا.

وهؤلاء من كانت فقيدتُنا واحدة من أقليتهم المحظوظة، التي قُيّض لها ان تسعد بأمرين:

ان يطول بها العمر لتكحّل العين برؤية السقوط المدوّي خزيا، لأعتى عتاة الطغيان والهمجية في بلدنا.. وانطلاق المسيرة الجديدة للعراقيات والعراقيين الطيبين الأوفياء، نحو حلم الحرية للوطن والسعادة للشعب.

وان تموت ميتة طبيعية، كريمة، على الفراش، وليس ظلما في سوح الإعدام او على أعواد المشانق، او في أقبية التعذيب وزنزانات السجون، على أيدي الجلادين والسفاحين.

هؤلاء وأولئك جميعا.. من نتذكرهم اليوم في شخص الرفيقة الغالية الراحلة زكية. ومن نحتفل بهم إذْ نحتفي بها انسانة، ومناضلة وطنية، ومكافحة نسوية، ومبدعةً مسرحية.

هؤلاء من جيل الرفيقة زكية، والجيل الذي سبقه، والآخر الذي تلاه.. هم من لا ننساهم! هم من تحول رحيلهم، القسري غالبا – بأيدي القتلة والجلادين، ويتحول الى دافع دامغ لبقاء ذكراهم مقيمة نابضة في قلوبنا وعقولنا وفي ضمائرنا على الدوام.

سنتذكر الفقيدة العمة زكية، ونتذكرهم جميعا، في كل حين نتذكرهم ونذكّرهم بأننا على العهد باقون.. بأننا لن نحيد عن درب الخير والنور والجمال الذي لوّنوه بكل ما وهبوا.. وما اعزّ وأزهى ما وهبوا!

كلمة التأبين التي القيت عن الحزب الشيوعي في حفل تأبين الفنانة الراحلة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكية الزيدي

طلقت الفن وتمسكت بالسياسة

علي البيضاني

العقيدة السياسية ليست ثوباً تستطيع ان تستبدله باخر وتتحول (١٨٠) درجة من اتجاه الى اخر تحت هذا السبب او ذاك وحين يعجن السياسي باحداث جلل يكون التمسك بالمذهبية السياسية اكثر فلم تستطع السجون ان تغير ما في النفوس برغم ان الثمن هو الحرية ولئن كانت تلك ليست القاعدة المطلقة لكننا في الاقل وجدناها في الكثير من الناس ومن بينهم الانسانة والفنانة والسياسية زكية خليفة الزيدي التي الهبتها سنوات جافة بمزيد من الالم جراء الاضطهاد والسطو علي حريتها فقضت ثماني سنوات في السجن ابتداءً من عام ١٩٤٨ لكن الزيدي (١٩٣٢ – ميسان) توضح لنا بانها لم تسجن وحدها بل كل عائلتها وفي المقدمة منهم امها بسبب الانتماء للحزب الشيوعي ولم يطلق سراحها الا في عام ١٩٥٦ حيث وضعت تحت الاقامة الجبرية ..

وهنا تبتسم الزيدي لموضوع الاقامة الجبرية فتقول: اعتقلت ٢٥ مرة حيث يتم ذلك عند زيارة اي مسؤول عربي او اجنبي للعراق ..

اما في العهد السابق فقد تم احتجازي ٢١ يوماً عندما تم حل الجبهة الوطنية وكان بامكاني الخروج من الوطن كما نصحوني بذلك غير انني فضلت البقاء في البلاد مع احتفاظي بكل اشيائي ومعتقداتي السياسية.

وزكية الفنانة والسياسية لم تتغير فيها طراوتها الجنوبية فمن يتحدث معها يتذكر اسلوبها الريفي الذي لم يفارقها ولكن ملامحها قد طرأ عليها تغيير فهناك شعيرات بيض كثيرات وعكازة تتكيء عليها في المشي لانها قطعت العقد السبعيني بسنة اخرى وهي تتولى حالياً رئاسة منظمة (نهضة المرأة) وهي منظمة واجهية للحزب الشيوعي العراقي وتسعى مع فنانين عراقيين لتشكيل نقابة لفناني بغداد تمهيداً لتأسيس نقابة الفنانين العراقيين.

وبرغم كل السنين فانها ما زالت تحتفظ بذكريات عن مسيرتها الفنية الطويلة التي اوقفتها باعتزالها الفن قبل (١٢) عاماً فتقول ان المحطة الاولي لمشوارها الفني بدأت قبل دخولها الاذاعة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ واذاعت بنفسها برقية تهنئة من عائلتها الي الزعيم عبد الكريم قاسم ومن ثم تولت تقديم برامج اذاعية منها (رابطة المرأة العراقية) و (الاصلاح الزراعي) و (الشعر الشعبي) و (شنينة تتحدث لاخواتها بنات الريف) وعدت نفسها بانها اول من ادخل الصوت الريفي الي اذاعة بغداد والتي كانت تسودها الاصوات البغدادية.

اما تاريخ حياتها الفنية فقد بدأ مع فرقة المسرح الفني الحديث حيث كانت عضوة مؤسسة لها وشاركت في تمثيل اغلب المسرحيات التي قدمتها الفرقة فضلاً عن المشاركة في ٧ افلام عراقية والعديد من التمثيليات الاذاعية ..

اما ابرز المسرحيات فهي (البستوكة) و (النخلة والجيران) والشيء الذي تسجله زكية الزيدي علي نفسها انها لم تحتفظ بصور عن مساهماتها الفنية ولا تعرف عدد المسرحيات والتمثيليات التي ساهمت فيها وتقول انها كثيرة.

ويذكر ان الزيدي كانت لها علاقات واسعة وطيبة مع الكثير من ممثلي الوسط الفني الراحلين والموجودين حاليا على الساحة الفنية ويكنون لها كل الاحترام لشخصيتها الرزنة والمحبوبة عندهم.

وقد امتدحها الكثير من رواد المسرح العراقي امثال الراحلين حقي الشبلي وابراهيم جلال.

في وداع العمة زكية خليفة

عدنان منشد

حين وردني خبر موت عمتنا المسرحية المناضلة السيدة زكية خليفة في (السويد) ايقنت ان في هذا الموت، انطوت اخر الصفحات لفنانة معروفة، وسياسية ناشطة، وامرأة مناضلة تربت في السجون والمعتقلات ودوائر الامن العامة، باعتبارها سليلة شعب مقهور، ومكافحة شيوعية صلدة ازاء الاستعمار والرجعية والحكم الملكي العميل.

لم تكن العمة (زكية) خريجة مدرسة او جامعة معروفتين في هذا الوطن، ولكنها انساقت الى فكر شقيقها الشيوعي المعروف في مدينة (العمارة) الرفيق مجيد خليفة الزيدي، فعانت من الاضطهاد والسجون ودوائر الجنايات والامن، اكثر مما تعانيه اية فتاة في اواخر اربعينيات القرن الماضي، وزج بها في السجن لاكثر من عشرة اعوام، حتى اطلق سراحها بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ كمناضلة شيوعية من الوزن الثقيل..

اذكر، فيما اذكر، انني شاهدتها في الستينيات والسبعينيات كممثلة مرموقة في مسرحيات (النخلة والجيران) و(البستوكة) و(يوم سعيد) و(بيت برناد ألبا) فضلا عن فيلم (ابو هيلة) للمخرج محمد شكري جميل، فترسخت في ذهني كممثلة رائعة، تؤدي دور الام العراقية الحبيبة كما تؤديها الفنانات المصريات من امثال امينة رزق وفردوس محمد وعزيزة حلمي.

لقد قادتني الظروف اليها يوما، بفاعلية مكتب جريدة الخليج الاماراتية في بغداد لاجراء حوار معها، فاعتمدت اول ما اعتمدت على صديقي الفنان عزيز خيون، ومن ثم زوجته الفنانة عواطف نعيم، فاستدللت من خلالهما انها تسكن في عمارات الصالحية القريبة اليهما على وجه التحديد فتحملت وقتذاك مشقة الصعود لسبعة طوابق لكي اقرع جرس باب شقتها.

كانت العمة زكية في الانتظار ـ الشقة معتمة في وقت الغروب كحال المصعد المعطل منذ سنوات طويلة.

ما حكتها بعد ذلك كثيرا حول نضال الحزب الشيوعي العراف وسجون المعتقلات السياسيات العراقيات، ان في الانتصار او في الانكسار، بعد ان اطمأنت الى وجهي وسعدت كثيرا لكلامي في الكثير والكثير منه..

قالت لي العمة زكية فيما قالت وقتذاك:

اعلم ياصاح انك تجبرني بالعودة الى جذوري او ينابيعي الاولى. فان شئت الاستماع، فاسمع بما اردد عليك..

قلت: لنستمع اذن ياعمة..

قالت حسنا.. اعلم انني من بيئة فلاحية عريقة كانت تكابد الجوع والمرض والفقر، لكن ذلك لم يمنعني من النضال من اجل حرية الشعب العراقي والقضاء على استغلال واضطهاد الفلاحين ولهذا اعجبت بشخصية اخي مجيد الذي كان يكلفني ببعض المهام الحزبية مثل توزيع الصحف ونشر المطبوعات السرية بين الناس.

قلت : لله درك ياعمة زكية.. وماذا بعد؟

قالت : بعد اطلاق سراحي من السجن بعد ثورة ١٤ تموز، بدأت ازاول نشاطي الحزبي والسياسي في رابطة المرأة العراقية مع المناضلة الراحلة د. نزيهة الدليمي ضمن ندوات جماهيرية واذاعية وتلفازية، فاصبح لي حضور مميز امام الجمهور، الامر الذي دعا كل من شمران الياسري (ابو كاطع) والشاعر زاهد محمد في اعداد وتقدم برامجهما الاذاعية المعروفة وقتذاك ثم حدث الامر الدراما تيكي في حياتي، عندما حدثني الاستاذ الفنان يوسف العاني حول ضرورة الانتماء الى فرقته العريقة مسرح الفن الحديث فوافقت عن طيب خاطر ليكون ابراهيم جلال وخليل شوقي وسامي عبدالحميد وفوزية وزينب وناهدة افراد عائلتي المناضلة الجديدة في الفن هكذا، استمتعت منصتا سادرا لخطاب هذه المرأة الكبيرة..

عند ذاك، نهضت من ضيافتها الكريمة ولكنها أودعتني ارشيفها الصوري الكامل، وكتابا حول الثورة النسوية في العالم فما كان مني الا ان انشر حواري معها في جريدة الخليج الاماراتية قبل سقوط نظام صدام باشهر معدودات.

لا اعرف ان عمتنا زكية قرأت الحوار او لم تقرأه في الجريدة المذكورة ولكن العمة الحبيبة الحت كثيرا في اعادة ارشيفها الصوري اليها، بعد ان طال المطال في اللقاء معها، بعد اشهر السقوط مباشرة اعترف حقا، انني قد ارجعت ارشيفها الصوري بواسطة الفنانة د. عواطف نعيم كاملا اليها.. ولكن فنانتنا العمة، كانت تطالبني بالكتاب المذكور، الذي اضعته في بيتي من دون ان يتوافر الوقت للعثور عليه حتى الان..

فالمعذرة، والمليون معذرة، لعمتي الراحلة زكية خليفة، في غيابها السرمدي الاخير.. وعذرا للجميع في اعترافي هذا الذي يشابه الكثير ممن حاوروها في العراق وبلاد الغربة.. فالعمة العزيزة على الرغم من نضالها السياسي الكبير، الا ان تاريخها المسرحي والفني يحدد بقيراط الذهب وهي على العموم تكرر ما تقول لانها تحفظ اكثر مما تقرأ او تكتب، واضيف.. انها لم تغادر الوطن البتة في مرحلة وجود الصنم، ولكنها غادرته على مضض الى بلاد السويد في العام ٢٠٠٥ باشمئزاز غير معلن من المد الطائفي المقيت.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكية خليفة من السجن إلى تحريض وتوعية الفلاحين

لطيف حسن

رائدة في المسرح ، لكنها مختلفة ، فهي سياسيه بالأساس ' ومدافعة عن حقوق المرأة ، ومارست الفن المسرحي بعد ثورة تموز ١٩٥٨ كسلاح سياسي للتوعية والتحريض . فهي قبل كل شيء من المناضلات المعروفات التي قضت عشرة أعوام في السجن ، ولم يطلق سراحها إلا بعد ثورة تموز ١٩٥٨ .

منذ نعومة أظافرها وهي لصيقة بالعمل السياسي السري ، أخوها مجيد خليفة احد قياديي التنظيمات الفلاحية في الحزب الشيوعي ، و من مؤسسي أوائل الجمعيات الفلاحية في العراق.

بعد أن أطلق سراحها من السجن بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مع بقية من كان سجينا سياسيا منذ العهد الملكي ، أصبحت كادرا متقدما في الحزب الشيوعي لمنطقة بغداد ، وعملت في وزارة الإصلاح الزراعي ، التي أخذت على عاتقها مهمات خطيرة في بداية الثورة وهي تقليم أظافر كبار الإقطاعيين من الأراضي الواسعة التي كانت بحوزتهم ، والتي استعبدوا بوساطتها الفلاحين الفقراء، ويحدد لهم المساحات المسموح لهم الاحتفاظ بها .

خرجت إلى الأرياف في حملات توعية وتثقيف بقانون الإصلاح الزراعي ' بين الفلاحين ، واشتركت بنشاط في الحملات التحريضية الإعلامية التي شنت آنذاك ضد النظام الإقطاعي ، وحماية النظام الجمهوري وضد أمراض والتخلف والجهل والأمية ، وتوعية مباشرة بالقوانين الجديدة بأعمال فنية من خلال فرق مسرحية كانت تابعة للجمعيات الفلاحية ، و كانت تتجول وتتنقل معهم بين القرى والأرياف .

مازالت تمثيلية (غيده وحمد) الإذاعية التي كتبها زاهد محمد ، ومثلتها زكية خليفة ، وغنتها وحيدة خليل ، طرية في ذاكرة جيل الستينيات كأحسن عمل إذاعي قدم آنذاك.

وعندما حدث انقلاب شباط١٩٦٣ كانت في الخارج ، ولم تعد الى العراق من بلغاريا الا بعد عام ١٩٦٨ انتمت بعد عودتها إلى فرقة المسرح الفني الحديث ، وعملت في نفس الوقت في المسرح الفلاحي المتنقل، حتى عام ١٩٩٧ حيث ، انقطعت بعدها ، وانزوت ، ولم تترك العراق رغم المضايقات التي تعرضت لها .

أهم أعمالها في المسرح (النخله والجيران) و(البستوكه) ومسرحيات أخرى نخلص من هذا الفصل . أن تأسيس قسم المسرح في معهد الفنون الجميلة عام ١٩٤٠ ، وحتى عام ١٩٥٩ فشل في أن يجذب إلى صفوفه للدراسة العنصر النسائي من الطالبات ، والأسباب يمكن تحديدها بما يلي:

أولا :- تتعلق بالنظرة الاجتماعية التي كانت سائدة عن المسرح والرافضة له كدخيل ثقافي جديد مغبرك من الغرب الكافر بالقيم والعادات الإسلامية .

ثانيا :- تقاليد المجتمع الرجولي في التعامل مع المرأة التي كانت تصادر حريتها الشخصية وإرادتها في تقرير شؤونها ومصيرها لصالح الرجل .

ثالثا :- ساعد في تعميق الهوة بين المرأة والمسرح ما كان شائعا من اقتصاره على نوع معين فقط من النساء اللواتي صعدن على خشبته (الممثلة الارتيست) ، الأجنبية في الغالب ،(من سوريا ولبنان) ، أو العراقيات من لا أصل اجتماعي واضح لهن ، من المنبوذات .

والمرأة التي هي من غير هذه الشريحة المذكورة ، والتي تجرأت وصعدت خشبة المسرح بدون علم أهلها ، حتى إذا كان هذا المسرح مدرسيا ، أو في فرقة جادة معروفه بالاستقامة الاجتماعية والرصانة، كانت تردع بقوة وتمنع من المواصلة بعد العرض الأول، وأحيانا قبل أن تصعد المسرح ، من قبل عائلتها وعشيرتها ، خشية الفضيحة ودرءا للعار الاجتماعي الذي قد يلحق بهم .

ومن استطاعت أن تكسر هذه التقاليد من الرائدات الأوائل ، من اللواتي استمررن في الدرب منذ جيل أواسط الخمسينيات المسرحي وما قبلها بقليل، كان لهن دائما ظهير من الذكور المتفهمين والمتفتحين في العائلة ساندتهم ودافعت عن مسيرتهم التي ظلت صعبة وقاسيه إلى النهاية .

يضاف إلى أهمية فعل الأفكار السياسية الثورية المناصرة للحرية والتقدم الاجتماعي التي كانت موجودة ومؤثرة في محيط وداخل عائلة (الرائدة المسرحية) ، والتي شكلت هذه الأفكار قوه كبيرة داعمة لهن في تحديهن الاجتماعي الصعب .

أن تغير تركيبة الطلبة من حيث الجنس في معهد الفنون الجميلة بعد عام ١٩٥٩ ، لم يكن بسبب دخول آزادوهي إليه وكسرها للحواجز المعيقة فقط، بل يعود بالأساس إلى الوضع الثوري والديمقراطي الحقيقي الذي ساد المجتمع العراقي بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ والذي شجعها على أن تقدم على خطوتها.

هذا الوضع الذي عصف بشدة بقواعد المجتمع القديم وهز مفاهيمه البالية التي لم تعد تصلح كإطار للعراق الجديد. كل شيء كان في حالة انطلاق وحركة عنيفة في السنة الأولى والثانية من الثورة .

وقد استفادت المرأة من فسحة الحرية والديمقراطية آنذاك استفادة كبيرة ، باعتبارها كانت من أكثر الشرائح التي ألحق بها الظلم والتهميش والضرر في المجتمع وعلى مدى قرون من تسلط الرجل في ظل النظام والعادات الإقطاعية الطويلة .

في ذلك اليوم مزقت العباءة من على رأسها وانطلقت من القمقم ، وانخرطت بايجابية في حياة المشاركة العامة ، في العمل في المعامل والمصانع ودوائر الدولة جنبا إلى جنب مع الرجل ، وحملت السلاح دفاعا عن الثورة والوضع الجمهوري ، وأجبرت بنضالها المطلبية من اجل نيل حقوقها المسلوبة على سن قانون متقدم للأحوال المدنية ، يكفل لها حقوقها و يقارب أن يساويها بالرجل ، وانخرطن في مدارس محو للامية ، وصعدن طالبات المدارس والشابات والنساء لأول مرة على خشبات مسارح النقابات والطلبة والشباب ورابطة النساء والجمعيات الفلاحيه والنوادي الرياضية ، يدبكن و يرقصن ويغنين ويمثلن الأدوار المختلفة في مسرحيات مهرجانية حاشدة بدون حرج او موانع جديه، وانتمين في هذه الفترة بحرية اكبر إلى الفرق المسرحية الأهلية التي كانت تعمل .

لقد تدفقت بعد تموز ١٩٥٨ وما قبلها بقليل ، الكثير من العناصر النسائية للعمل في الفرق المسرحية التي كانت موجودة ، منهن من انقطعن ، ومنهن من واصلن ، نذكر نجاة رشاد ، وأختيها إقبال ونصر ، وشقيقة زكيه خليفه سعدية الزيدي ، وخوله عبد الرحمن ، وخولة ونضال وأنوار(أخوات) ،وفوزيه عارف وامل الدامرجي وامل كاظم وافراح عباس وابتسام حسون فريد ، وسليمه خضير ، ووهيبة ، ونبيلة ، وفاطمة الربيعي ، ووداد سالم ، وسعاد عبدالله ، نضال عبدالكريم ونورية وجانيت يوسف (أخوات) وسميرة وأفلين ، ...الخ.

أن الثورة ومبادئ ثورة تموز ١٩٥٨ لم تغير نمط الحكم السياسي فقط ، بل غيرت أيضا أعماق الشخص العراقي ، وعي وضمير وطريقة تفكير الفرد العراقي في المجتمع ،

وعندما حدث انقلاب شباط١٩٦٣ كانت في الخارج ، ولم تعد الى العراق من بلغاريا الا بعد عام ١٩٦٨ انتمت بعد عودتها إلى فرقة المسرح الفني الحديث ، وعملت في نفس الوقت في المسرح الفلاحي المتنقل، حتى عام ١٩٩٧ حيث ، انقطعت بعدها ، وانزوت ، ولم تترك العراق رغم المضايقات التي تعرضت لها .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكية خليفة المناضلة المقدامة والشخصية الدافئة

كاظم حبيب

كانت كبقية المناضلات والمناضلين تحلم بغد أفضل لشعب العراق، بحياة أكثر حرية وسعادة وأكثر دفئاً ووفاء وعدلاً للفلاحين الذين ولدت في صفوفهم وفي قرية صغيرة من قرى لواء العمارة، وللعمال المنتجين للخيرات المادية وللفقراء والمعوزين، وكانوا ومازالوا يشكلون الغالبية العظمى من الشعب العراقي. وكانت زكية خليفة نموذجاً حياً للنساء المناضلات من أجل حرية المرأة وتمتعها بحقوقها المغتصبة ومساواتها بالرجل ووجدت ضالتها في رابطة المرأة العراقية التي أصبحت واحدة من مؤسساتها ومن أنشط النساء في الرابطة وشديدة الصلة بالدكتورة نزيهة الدليمي وروز خدوري وبقية المناضلات حينذاك. وكانت تمتلك من الحيوية والشجاعة والاستعداد للتضحية ما جعلها واحدة من خيرة المناضلات الشيوعيات في حزبها الشيوعي العراقي اللواتي تحملن الكثير من عذابات السجون ومحن الحياة اليومية والمصاعب والمصائب التي كانت تطارد أعضاء وأصدقاء الحزب المناضلين من أجل "وطن حر وشعب سعيد".

دخلت السجن وهي شابة. حين اعتقلت وهي في محطة القطار ببغداد تحمل أدبيات الحزب وبريده من قبل أجهزة التحقيقات الجنائية، صرخت بصوت مرتفع ليسمع الجميع : أخبروا الحزب الشيوعي العراقي بأن زكية خليفة قد اعتقلت". لقد كانت تريد أن يصل خبر اعتقالها عبر أحد الطيبين إلى الحزب لتجنيب رفاق الحزب الوقوع بحبائل العدو. حُكم عليها من قبل محاكم العهد الملكي القرقوشية بالحبس عشر سنوات، قضت الكثير من فترة محكوميتها في السجن قبل إطلاق سراحها في أعقاب انتصار ثورة تموز ١٩٥٨. ليتصور الإنسان ظلم المحاكم حينذاك: امرأة تحمل بطاقة العضوية في الحزب الشيوعي العراقي وتحمل أدبيات الحزب، ويحكم عليها بالسجن عشر سنوات، أي عدالة وأي قضاء مستقل وعادل في العهد الملكي يتحدث عنه البعض، وخاصة القضاء الذي كان مسؤولاً عن المحاكمات السياسية والذي كان خاضعاً بشكل تام تقريباً للتحقيقات الجنائية وليس عملياً لوزارة العدل.

كانت زكية خليفة الزيدي تردد دوماً قول لينين: " أعطني خبزاً ومسرحاً ، اعطيك شعباً مثقفاً". وبقدر ما أحبت الحزب الشيوعي العراقي، عشقت أيضاً المسرح الشعبي وتقديم المسرحيات للفلاحين الكادحين لتساهم برفع وعي هذه الفئة الكبيرة من بنات وأبناء الشعب العراقي التي تعرضت لأبشع أشكال الاستغلال في كافة العهود ولا تزال تعاني ذلك ايضاً.

كانت تتميز بالفطنة والمبادرة وسرعة البديهة، وكانت يقظة مفتوحة البصر والبصيرة في عملها السياسي والحزبي. حين كُلفتُ بزيارة بعض التنظيمات الحزبية للاشراف على عملها في العام ١٩٧٧ و١٩٧٨، تسنى لي أن أزور تنظيم "العمالية الصغيرة" و"الكرادة الشرقية"، وفيما بعد البصرة. وجدت ما يدير الرأس في واحدة وما ينعش النفس في الثانية. لقد تبين لي بأن عدداً من أعضاء اللجنة العمالية كان قد تسرب إليها وهم من عملاء البعث أو تحولوا إلى عملاء، وكان المسؤول عن التنظيم ضعيفاً وغير يقظ، إذ استطاعت أجهزة الأمن البعثية لا أن تسرب لهذا التنظيم العديد من العملاء حسب، بل وأن تستخدم هذه المنظمة لترحيلات أخرى عبرها إلى منظمات حزبية أخرى. وحين زرت منظمة الكرادة الشرقية حيث كانت زكية خليفة مسؤولة عنها، وجدت بأن المنظمة قوية ومتماسكة وواسعة ونظيفة عموماً، إذ عجزت أجهزة الأمن عن الحصول على موقع لها في اللجنة القائدة أو في تنظيمات تابعة لها. لقد كانت زكية تتابع كل رفيق ورفيقة في المنظمة بنفسها، وتتابع الترحيلات التي تصلها بنفسها بحيث تتيقن من نظافة الترحيل، وكانت تتابع أي رفيق يعتقل لترى ما حصل له. وبقدر ما كانت لطيفة وهادئة، بقدر ما كانت يقظة وصارمة وحذرة من تسرب الأعداء للتنظيم الحزبي الذي تقوده.

لقد نذرت زكية خليفة نفسها للنضال في صفوف الحزب الشيوعي العراقي ولم تبخل بشيء لصالح تقدم الحزب وتطوره وأعطت ستة عقود من عمرها لهذا الحزب ونضاله وعانت معه من ظلم واضطهاد النظم الرجعية والفاشية.

أحبها المحيطون بها والعاملون معها، سواء أكان ذلك في صفوف الحزب أم في رابطة المرأة العراقية أم في المسرح أم في العمل الجماهيري اليومي، واعتز بها الأستاذ يوسف العاني ومن عمل معه حينذاك. وكانت واحدة من النساء اللواتي أبدعن في عملهن المسرحي وبشكل خاص في مسرحية "النخلة والجيران" للكاتب غائب طعمة فرمان بجوار زينب وناهدة الرماح، إضافة إلى المسرح الريفي وقراءة الشعر الشعبي.

رغم مرضها وافقت زكية على أن تترشح ضمن مجموعة الحزب الشيوعي العراقي في انتخابات العام ٢٠٠٥، والمرض هو الذي اجبرها على مغادرة الوطن للعلاج في السويد، وهناك في مستشفى سويدي توقف قلب الرفيقة والمناضلة العزيزة زكية خليفة المتعب مبكراً.

فإلى عائلتها وإلى رفاق الحزب الشيوعي وأصدقاء الفقيدة العزاء بفقدها، ولها الذكر الطيب.

لماذا يرحل المبدعون بصمت . . وزكية خليفة آخرهم؟

حسن الخفاجي

زكية خليفة نخلة عراقية باسقة ماتت قبل أيام . زكية خليفة ارتبطت بوجدان من شاهدها على المسرح ،أو شاهدها في لقاء تلفزيوني ،أو سمعها بلقاء إذاعي. صادقة، قوية ،عفوية، وهي جزء حيوي ومهم من تاريخ العراق النضالي والفني .

لم (تردح) زكية خليفة لصدام مثلما ردح له مقربون منها ،آثرت الصمت وكان في صمتها الكثير من البلاغة !.

عانت مرارة الاعتقال والتحقيق والحبس ، ولم تسجد على عباءة الطغاة ،وظلت تحفظ طيبة جنوبية رائعة .حسدها الكثيرون لأنها حققت أمنيتها الوحيدة واليتيمة ،في أن تكتحل عيونها بمشاهد هروب وهزيمة نظام العفالقة.

قارنوا بينها وبين زميلتها الفنانة زينب التي ماتت في السويد العام ١٩٩٨ ،ولم تكتحل عيونها بمشاهد هزيمة البعث وصدام .

ولوان اغلب وسائل الإعلام العراقية مشغولة في الانتخابات هذه الأيام ، لذلك ظل خبر وفاة زكية خليفة طي الكتمان .

زكية خليفة فنانة ،وإنسانة عراقية نبيلة أعطت العراق الكثير، على الإعلام العراقي أن يعطي مساحة لتغطية خبر رحيل زكية يساوي في المساحة والوقت دعاية مرشح مجهول وما أكثرهم!.

لماذا يرحل مبدعو العرق في الغربة بصمت ؟

"الفضيلة تكسب الإنسان الشهرة في الحياة ،وذكرا ،وخلودا في الممات"

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

شهادات

"التقيت الفنانة بداية الستينيات في مسرح الفن الحديث، ومثلت من اخراجي العديد من المسرحيات اشهرها مسرحية (البستوكة)، وكانت فنانة رائعة وأما عطوفة وملتزمة إلى حد كبير".

"كما عملنا معا في مسرحية النخلة والجيران عام ١٩٦٩ وكانت تؤدي شخصية زوجة الفراش التي تردد لازمه (الحكومه الله ايسلمهه) والتي احبها الجمهور وظل يرددها لسنوات طويلة".

وتابع "كان لزكية خليفة بالغ التأثير على من يسمع حديثها فقد كانت ذا حميمية عالية وإمكانية نادرة للجذب والتأثير"، فضلا عن "كونها من أكثر الفنانين التزاما بأمور المسرح، ولم تتخلف دقيقة واحدة عن حضور التدريبات".

أن "رحيل زكية خليفة الفنانة والإنسانة والناشطة السياسية خسارة كبيرة لن تعوض، وهي خسارة للحركة الوطنية العراقية والحركة النسوية إضافة إلى كونها خسارة جسيمة للمسرح".

سامي عبد الحميد

"قد يخونني الكلام حينما أتحدث عن هذه الكائنة العظيمة والمناضلة العريقة والفنانة الطليعية".

وأوضحت "فهي من رواد الحركة النسوية العراقية كما أنها من البارزات عالميا في هذا المجال، وكان لدورها في قيادة رابطة المرأة العراقية اكبر الأدلة على كثافة هذه المرأة وثقلها وقدراتها الفذة، إذ نحن النسوة لم نزل نستمد منها ابلغ الدروس وأكثرها ثراء". اضافة الى كونها فنانة صادقة ذات حس ادائي عال مثلت معها في العديد من اعمال فرقة المسرح الفني الحديث التي احتضنتنا في شبابنا ، وكانت الراحلة اكثر من زميله فهي اخت وام تجدها بقربك في اصعب المواقف.

ازادوهي صامؤيل

مساهمة فعالة في بناء الحركة النسوية في العراق، وتركت ابلغ الأثر".

أما في المسرح " فقد كان تأثيرها اقل بكثير عن ما حققته في مجال السياسة والنشاط المهني الديمقراطي".

"ولكن ما يجعلها إنسانة جديرة بكل الثناء والاحترام هو نضالها من اجل النساء و خروجها على واقعها الاجتماعي والدخول للحياة من أوسع أبوابها حيث احترفت النضال والثقافة على الرغم من بيئتها الفلاحية".

فاضل خليل

زكية خليفة من "ابرز ناشطات الحركة النسوية في العراق عبر أكثر من نصف قرن"، موضحا "فقد حملت الأفكار التقدمية وعملت على تحرير المرأة، وقد ساهمت بتأسيس رابطة المرأة العراقية عام ١٩٥٩ وحضرت الكثير من المؤتمرات النسوية العالمية".

"وكانت من النساء الجريئات في طرح قضايا المرأة إذ نادت بتحريرها اقتصاديا وإخراجها من المطبخ والسعي للحصول على حقوقها" كافة.

إلى أنها "مناضلة من مناضلات الحزب الشيوعي العراقي وتعرضت للقمع والاضطهاد، وهي من عائلة فلاحية، استطاعت أن تتغلب على لصعوبات والمحددات الاجتماعية" كافة.

عبد الرزاق الصافي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

، ان "فقدان المربية الكبيرة والمناضلة الملهمة زكية خليفة خسارة كبيرة للحركة النسوية ولرابطة المرأة على وجه خاص".
"كنت على علاقة خاصة بها وتعرفت على روحها المتفجرة وإنسانيتها الفائضة التي تغمر جميع من يعرفها، كانت رائعة وايجابية في كل شيء"، كما كانت "تملك روح الشباب على الرغم من تجاوزها السبعين، بل كانت تنافس الشابات في العمل التنظيمي والثقافي".
، وحينما كانت تضمنا غرفة الفندق تتدفق روحها الجنوبية بأعمق معاني الحس الشعبي والذكريات النضالية ودورات القمع والملاحقة التي عاشتها طويلا".
أن "رحيل زكية خليفة خسارة باهظة لا تعوض فهي إضافة إلى القليل الذي قلناه فهي فنانة رائدة وملتزمة إلى أقصى حد".

هناء ادور

فنانة مسرحية معطاءة .. عرفتها مسارح بغداد والمحافظات ، ممثلة ملتزمة نذرت فنها من اجل مسرح عراقي تقدمي هادف يرفع من مستوى الذوق الفني العام .. مناضلة تقدمية شجاعة أوقفت حياتها وفنها من أجل قضية شعبها ووطنها..
فهل بقى أحد من جيل الخمسينيات والستينيات الذي سحق تحت رحى التعذيب والإرهاب والمقابر الجماعية يتذكر كلماتها العذبة والطيبة وهي تقدم برنامجها الريفي الشهير في بداية الستينيات
وهل يعرف جيل السبعينيات والثمانينيات .. جيل الحصار والحروب والقمع من هي « العمه زكية الرائعة .. فأين لهم ذلك وسلطة الموت والخوف حرفت تاريخ العراق وطمست كل ما هو تقدمي ووطني ...
من هي العمه زكية؟
امرأة متسلحة بالطيبة والبساطة ، ذات قيم ومبادئ.. مناضلة إيمانها ثابت بقضايا شعبنا الأساسية .. فنانة ذات موهبة إبداعية رفيعة ..

د شفيق المهدي

مايميّز زكية خليفة عن غيرها هو التضحية و ذلك العطاء اللا محدود وبسخاء كطبيبة شابة في مقتبل العمر وطموحة فكان عطاؤها الى وطنها العراق والى شعبها العراقي الذي احتضنته وفي احلك الظروف والى حزبها الشيوعي العراقي الذي كان ولم يزل وفياً مخلصاً لها كحبها واخلاصها له والى المرأة العراقية ونضالاتها التي عانت جور الانظمة المتخلفة بها .
كانت شعلة من العمل و النشاط من اجل حقوق ومكتسبات المرأة العراقية فعملت منذُ الخمسينيات كمناضلة عراقية سياسية ورابطية
انها الشخصية الوطنية المرموقة والمناضلة التي وهبت كل حياتها لمحاربة الجور والطغيان ومن اجل ان تشرق على ربوع بلادنا شمس الحرية والمساواة والسعادة لكل مواطن في وادي الرافدين، بصرف النظر عن قوميته او دينه، عن مذهبه او فكره عن جنسه او لونه.

خليل شوقي

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

هكذا تحدثت زكية خليفة

بلقيس الربيعي

" أعطني خبزا ومسرحا ، اعطك شعبا مثقفا "
لينين

في زيارتي السريعة لمدينة مالمو التقيت الفنانة زكية خليفة (عمة زكية) .وفي هذا اللقاء القصير كان لابد أن يدور الحديث عن المسرح وعن كيفية جمعها بين السياسة والمسرح .فألقت بعض الضوء على تجربتها المسرحية كونها رائدة من رائدات المسرح العراقي وخاصة المسرح الريفي .

ـ كيف كانت بدايتكِ مع المسرح ومن كان وراء تطوير قابلياتكِ في التمثيل ؟

نشأت في قرية صغيرة ينعدم فيها كل اشكال التعليم وخاصة بالنسبة للفتيات . تمّ اعتقالي ولم يتجاوز عمري الخامسة عشرة وحكم علي بالسجن لمدة عشر سنوات . وفي السجن بذلت جهدي لأتعلم واواصل تعليمي .

وبعد خروجي من السجن بعد ثورة ١٤ تموز المباركة عام ١٩٥٨ ، بدأت ازاول نشاطي السياسي في صفوف الحزب الشيوعي العراقي ورابطة المرأة العراقية بكل طاقتي من اجل رفع وعي النساء وتعبئتهن للدفاع عن الثورة ومكتسباتها . بدأت مع الراحلة الدكتورة نزيهة الدليمي بعقد الندوات التي كانت تبث من التلفزيون بشكل مباشر و شاركت فيها العديد من النساء المثقفات والعاملات وربات البيوت ونالت إعجاب العديد من المشاهدين والمخرجين ومنهم الأستاذ يوسف العاني ، الذي كان يشغل منصب مدير الإذاعة والتلفزيون . طلب مني الأستاذ يوسف العاني العمل في فرقة المسرح الحديث ، لكني رفضت لإنشغالي بالعمل السياسي . لكنه أصرّ على موقفه وقدم رسالة الى الحزب يطلب فيها الموافقة على إنضمامي الى الفرقة . وبعد موافقة الحزب باشرت العمل في الفرقة رغم إني لا امتلك خبرة كبيرة في التمثيل سوى حبي لشعبي ووطني .واتخذت من خبرة الفنانين الذين سبقوني في مجال المسرح مدرسة لأتعلم منها . تعلمت وعملت بتفان من اجل مسرح يخدم مصالح الشعب ويسهم في رفع وعي المرأة العراقية .وإضافة لعملي في فرقة المسرح الحديث ، كنت اقوم بتقديم برامج إذاعية يومية مع الراحل شمران الياسري (ابو كاطع) على سبيل المثال " برنامج الإصلاح الزراعي الذي كنا نتحدث فيه لأخواتنا الفلاحات وكذا برنامج خاص مع علي تايه وكان اسمي في البرنامج شنينة ، اتحدث فيه لأخواتنا في الريف ، كما كنت اقوم بتقديم برنامج للشعر الشعبي مع الدكتور زاهد محمد .

ونظرا لأهمية المسرح ودوره الفعال في توعية الجماهير ، طلبت من اعضاء الفرقة أن نقدم عرضا خاصا للنساء في الساعة الخامسة لأن معظم النساء تخشى الخروج في وقت متأخر و تعهدت انا ببيع التذاكر ونجحت التجربة . أي كنا نقدم عرضين ، الأول في الساعة الخامسة للنساء والآخر الرئيسي في الساعة السابع مساءاً .

ـ ما الذي ربط إهتمامكِ بالمسرح والسياسة ؟

منذ أن كنت طفلة كنت اتابع اخي المرحوم مجيد وهو يعمل ليل نهار من اجل قضية الشعب وخاصة الفلاحين . ورغم انه تربى في بيت لم يذق فيه طعم الحرمان ، لكن ذلك لم يمنعه من النضال من اجل حرية الشعب والقضاء على إستغلال وإضطهاد الفلاحين . فقد اسسّ أول لجنة عمل تحت اسم " اصدقاء الفلاحين "وباشرت اللجنة عملها في ريف العمارة . كنت احب اخي وبدأت احسّ بمعاناة شعبي ، لذا وقفت الى جانبه رغم صغر سني . فكان يكلفني ببعض المهام الحزبية مثل توزيع الصحف وتوصيل البريد الحزبي . وكان معجبا بشجاعتي وكنت سعيدة برضاه عني وثقته بي . وبعد وفاته اقسمت على مواصلة العمل من اجل القضية التي نذر حياته لها . وليس اصدق من وفائه للحزب سوى أنه مات وهو في مطبعة الحزب ، وشاعت المصادفات إني أعتقلت ايضا في مطبعة الحزب وحكم علي بالسجن عشر سنوات . وبعد خروجي من السجن بعد ثورة تموز ١٩٥٨ بدأ إهتمامي بالمسرح لأني وجدت فيه الوسيلة الفاعلة لرفع وعي الجماهير ، واصبح احد ميادين عملي السياسي .

منذ أن كنت طفلة كنت اتابع اخي المرحوم مجيد وهو يعمل ليل نهار من اجل قضية الشعب وخاصة الفلاحين . ورغم انه تربى في بيت لم يذق فيه طعم الحرمان ، لكن ذلك لم يمنعه من النضال من اجل حرية الشعب والقضاء على إستغلال وإضطهاد الفلاحين . فقد اسسّ أول لجنة عمل تحت اسم " اصدقاء الفلاحين "وباشرت اللجنة عملها في ريف العمارة . كنت احب اخي وبدأت احسّ بمعاناة شعبي ، لذا وقفت الى جانبه رغم صغر سني . فكان يكلفني ببعض المهام الحزبية مثل توزيع الصحف وتوصيل البريد الحزبي . وكان معجبا بشجاعتي وكنت سعيدة برضاه عني وثقته بي . وبعد وفاته اقسمت على مواصلة العمل من اجل القضية التي نذر حياته لها

ـ ما اول عمل قدمته ؟

كما ذكرت في بداية حديثي بأن بداياتي كانت من خلال الإذاعة والتلفزيون . كنت أقدم العديد من البرامج التي تتحدث عن القوانين التي جاءت بها ثورة ١٤ تموز ، منها قانون الإصلاح الزراعي الذي يعزز مكانة الفلاح وقانون الأحوال الشخصية الذي يمنح المرأة حقها بالمساواة مع اخيها الرجل وقانون التعليم الإلزامي وغيرها من القوانين . كنت اقدمها بلهجة ريفية و باسلوب تستطيع المرأة فهمها . وبعدها بدأت العمل في المسرح الريفي الجوال .

كانت اهم اعمالي في فرقة المسرح الحديث مشاركتي مع الفنانة القديرة ناهدة الرماح والراحلة زينب في مسرحية " النخلة والجيران " للروائي الكبير غائب طعمة فرمان. وكان لهذه المسرحية تأثير كبير على المسرح العراقي لأنها عكست ما تعانيه المرأة العراقية من ظلم وإضطهاد .كنت اقوم بدور زوجة فراش المدير .كما شاركت في مسرحية " البستوكة " و" الخان " .وشاركت في مسرحية " البيت الجديد " لفرقة مسرح اليوم ومسرحية " رصيف الغضب " التي تتحدث عن المذبحة التي تعرض لها العمال في البصرة على ايدي قوات الانكليز ، وكانت المسرحية لحساب نقابات العمال . كما شاركت بمسرحية " بغداد الأزل " والتي عرضت في الجزائر .

ـ ما رأيكِ بواقع المسرح الآن ؟

منذ عهد النظام السابق والمسرح العراقي يتعرض للتخريب . لقد فقدَ المسرح الحس الوطني والإنساني وتعرض الفنانون الى شتى صنوف الإضطهاد والإرهاب مما دفع بالعديد منهم الى الهجرة خارج الوطن ، لذا فتردي أوضاع المسرح العراقي هو إنعكاس للأوضاع المأساوية التي يتعرض لها شعبنا برمته .

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكية خليفة تأريخ نضالي حافل و فن هادف أصيل

جابر الاسدي

الانسان الذي يطبق القوانين الظالمة و يسمح لأناس يسومون الوطن الذي ولد فيه سوء العذاب ليس هو بأنسان شريف فكما لابد من شيء من النور كذلك لابد من ان يكون فيها شيء من الشرف،عندما يكون هناك الكثير من الناس بلا شرف فهناك دائما الى جانبهم كثيرون غيرهم يحملون في انفسهم اسمى معاني الشرف انهم هم الذين يثورون بقوة رهيبة دائما في وجه اولئك الذين يسرقون حرية الشعب و هؤلاء هم الذين يمثلون شعبا بأسره و هم الذين يمثلون الكرامة الانسانية (جوزيه مارتي) و السيدة زكية خليفة واحدة من اولئك الذين وصفهم (جوزيه) فهي مناضلة عراقية معروفة افنت احلى سني العمر في النضال من اجل حرية و اسعاد و تحرير الشعب العراقي من هيمنة الاقطاع و الاستعمار البغيض و قد امضت عشرة اعوام في السجن واطلق سراحها بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ التي اطاحت بالحكم الملكي الرجعي.

و هي واحدة من المناضلات المدافعات دوما عن حقوق الانسان في اقطار العالم عملت دون كلل او ملل رغم ماصادفها من عقبات لتحقيق العدالة و ليس بهدف تحريم العنف ضد المرأة فقط وانما تغير كل البنى الاجتماعية التي تؤدي الى تهميش المرأة . و هي فنانة متألقة من جيل الرواد عملت في المسرح العراقي بعد ثورة تموز و وظّفت فنّها من اجل قضيتها و الرسالة التي حملتها و (النخلة و الجيران) باقية في الاذهان .

دخلت القاعة و سط ترحيب كبير من قبل السيدة هيفاء الامين مديرة الجمعية و عضوات الهيئة الأدارية و من جميع الحضور من النساء و الرجال يوم الخميس الموافق ١٢-١-٢٠٠٨ضيفة على الجمعية. تتؤكأ على عكازها تبتسم للجميع وترتسم بسمة اخرى للزمن الآتي حسب ما تستشرفه ،تتدلى خصلات شعرها البيض على جبينها كأوراق شجرة فضية و هي تشير و عكازها الى معاناتها على امتداد سني عمرها ،لم تثنها الاعتقالات و السجون و لا التعذيب و الملاحقة و لا حتى المرض و العمر من مواصلة العمل و الاستمرار في العطاء كنخلة عراقية شامخة.

قدمت السيدة مديرة الجمعية هيفاء الامين بكلمة رقيقة معبرة عرّفت خلالها بنضال ضيفتها و وصفتها بأنها المدافع الواعي و العنيد لتحقيق وضمان حقوق المرأة.

السيدة زكية خليفة ابتدأت كلمتها بالشكر للسيدة مديرة الجمعية وعضوات الهيئة الادراية و كل الحضور حيث تحدثت عن نضالها الطويل بمسحة من الحنين و استذكار الماضي بكل ما فيه و هي بذلك تحرك ذاكرة المتلقي و تزيح الرماد عن وهج الذكرى كي تفتح ذهنية الحضور للمشاركة بالتجربة بشكل اعمق و هي بذلك تولّد مكانة الأصرة التي تشدها الى تراب الوطن و خلاص شعبه مما هو فيه.

و تعرضت للواقع العراقي بعد الاحتلال و ما فيه من احتراب و قتل و اغتصاب و واقعه السياسي و ما فيه من حراك بنظرة المتفحص المدرك ، وخصت بعدها المرأة و قالت ان المرأة بحاجة الى نضال مع ذات المرأة لأقناعها بأهمية المطالبة بحقوقها وعدم الرضوخ للهيمنة و القبول بالتبعية و الخروج من ترسبات الماضي الذي جعل المرأة تعتقد بأن لا حقوق لها و ان الله كتب لها العيش هكذا .

و تعرضت للواقع العراقي بعد الاحتلال و ما فيه من احتراب و قتل و اغتصاب و واقعه السياسي و ما فيه من حراك بنظرة المتفحص المدرك ، وخصت بعدها المرأة و قالت ان المرأة بحاجة الى نضال مع ذات المرأة لأقناعها بأهمية المطالبة بحقوقها وعدم الرضوخ للهيمنة و القبول بالتبعية و الخروج من ترسبات الماضي الذي جعل المرأة تعتقد بأن لا حقوق لها و ان الله كتب لها العيش هكذا .

واضافت ان العنف ضد النساء تتنوع اشكاله في فترات الازمات الاجتماعية و حالات الأقتتال الطائفي و العرقي و في حالات الحرب و الاحتلال و اكدت ان العنف الجنسي لايمكن معالجته ما لم تتغير الاسس التي يستند اليها تدهور مكانة النساء الاقتصادية و الاجتماعية و اكدت المطالبة بالعمل لألغاء كل القوانين البائدة و التي تنص على معاقبة المرأة (تأديب الزوجة) مثلا او ممارسة العنف ضدها لانها هي الام و الاخت والزوجة وان النظرة المرسخة لدونية المرأة تجعل من النساء هدفا للمنظمات و العقليات الرجعية و الفاشية و ان ليس للنساء المناضلات ان ينتظرن من احد ان يحقق لهن حقوقهن و انما عليهن ان يكن في الطليعة و هكذا سيقمن بدور قيادي للتغير ولا ضير بأن تتكاتف معها القوى الديمقراطية وجمعيات حقوق الانسان .

بعد ذلك عقبت السيدة هيفاء الامين موضحة ان على المرأة ان تسعى بكل قواها و طاقاتها لتحقيق ذاتها و فرض حقوقها امام المجتمع و القانون و خوض النضال مهما كان مستوى الوعي في البداية و ان المشاركة المباشرة هي السبيل لتطوير وعي المرأة .

و دعت الى تضافر الجهود بين الجمعيات و الحركات النسوية و استخدام المؤسسات الديمقراطية لتقديم برنامج واضح لأكبر عدد من النساء و دعت للقيام للتجمعات و الاعتصامات التي تهدف الى استثارة السواد الأعظم من النساء و فك عزلتهن المنزلية و محاربة ضعف الثقة في قدراتهن و النضال الى جانبهن و تعريفهن بتاريخ المناضلات ضد الاضطهاد في العالم و تأكيد قدراتهن على الفعل و في النهاية فتحت الباب للمناقشة و حصلت مداخلات و نقاش ساخن اجابت عليه السيدة زكية خليفة بعقلية المحترف السياسي و الذي يخوض في اعماق الظاهرة لتحليلها.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

عرفتها عن بعد ومن خلال الشاشة الصغيرة منذ النصف الثاني من الخمسينيات في القرن الماضي ومن خلال بعض الشخصيات التقدمية في بغداد وريف العمارة بانها من عائلة مناضلة ودورها الفاعل في استنهاض الوعي والحس الوطني والثقافي في الحركة الفلاحية التقدمية ، ثم ازدادت معرفتي بها من خلال نشاطات اتحاد الطلبة العام قبيل ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة وبعدها في بداية الستينيات في تقديم العروض المسرحية الهادفة في الكليات مع مجموعة من اشهر الفنانين وعلى رأسهم الاستاذ يوسف العاني والاستاذ سامي عبد الحميد وناهدة الرماح والمرحومة زينب وكثير غيرهم ...

د. جبار ياسر الحيدر

زكية خليفة تقول : (بيكم ريحة أهلنا)

كانت ادوارها مميزة وتتسم ببساطة وطيبة المرأة الريفية العراقية حيث دخلت في قلوب المتلقين العراقيين واصبح اسمها مقترنا باسماء المبدعات والمبدعين في فرقة المسرح الحديث ... وبعد حصول كارثة الشعب العراقي في الثامن من شباط الاسود ١٩٦٣ علمت انها اعتقلت وتعرضت الى صنوف التعذيب الوحشي والسجون حالها حال كل النساء العراقيات الشريفات المناضلات وانقطعت عني اخبارها حتى سفري الى المملكة المتحدة في عام ١٩٦٩ لدراسة اختصاص الجراحة ... وفي لندن علمت من احد الاصدقاء بقصتها المؤلمة واخبارها العائلية وانفصالها عن زوجها الشخصية السياسية المعروفة .؟

وبعد سنوات قليلة من عودتي للعراق في منتصف السبعينيات وحينما كنت اقوم بتأدية واجبي في العيادة الاستشارية الجراحية في مستشفى الكندي التعليمي / بغداد تفاجأت بدخولها للعيادة وكانت بصحبة اختها وابن اختها سعدية الزيدي ، ورحبت بها وفرحت لرؤيتها وهي بكامل عنفوانها وشخصيتها القوية وقلت لها " الحمد لله بعدج عدلة !! " فاجابتني " ده تشوفني مثل الصل !! " واخبرتني بمقتطفات عما جرى لها من مآسٍ .. وقالت الان وبعد تحسن الاوضاع عاودت الى العمل المسرحي في التلفزيون والراديو .. وبعد ان فحصت ابن اختها واعطائه العلاج اخبرتها بانني حاضر لكل مساعدة او استشارة طبية سواء اثناء الدوام الرسمي او في عيادتي الخاصة في ساحة الوثبة " حافظ القاضي سابقا " ولم تنقطع عن زياراتها لي او للمرحوم الوالد في محله في شارع النهر وحتى بداية الثمانينيات حين احكم المقبور صدام قبضته واستبداده بالحكم وتدهور الوضع السياسي والحرب العراقية الايرانية ثم انقطعت اخبارها كليا .... وفي نهاية الحرب العراقية الايرانية فاجأتني في عيادتي الكائنة في شارع السعدون / ساحة النصر وهي في اسوأ حال حيث تغيرت ملامحها وبان عليها الحزن والتعب وتدهورت حالتها الصحية .. رحبت بها وسالتها عن حالها وحال عائلتها فاجابتني كنت مطاردة من قبل السلطات الامنية والجيش الشعبي والمعتقلات بين فترة واخرى ، او متخفية عن الانظار (ماخذة الراك الراك !!؟) وقد استشهد ابن اختي الطيار اثناء الحرب ، ومما زاد في تدهور صحتي هو غياب اهلنا ورفاقنا وقد واسيتها على ما هي فيه وبعد اجراء كافة الفحوصات الطبية اتضح انها مصابة بهشاشة العظام وضغط الدم العالي وفقر الدم ونصحتها بالزيارات الدورية المنتظمة واعطيتها بعض الادوية ... وبقيت مواظبة في زياراتها المنتظمة وبعض افراد عائلتها لي وللمرحوم الوالد وحتى خروجي من العراق في نهاية ٢٠٠٢ وكنت دائما اوصيها باخذ الحيطة والحذر لان تحركها مرصود من قبل البعثيين فتجيبني (لا تخاف علي .. انا متحذرة ولكني ارى في زياراتي لكم شفائي لان بيكم ريحة اهلنا) ... ومرت الايام فتكحلت عيونها بالتغيير وسقوط الصنم وكنت اتابع اخبارها من خلال الشاشة الصغيرة وانا في كندا حيث لاحظت فيها ذلك العنفوان والهيبة والنشاط المتميز مع رفاقها في مقر الحزب الشيوعي العراقي في بغداد وشهادتها على التاريخ ودورها البارز في تنشيط رابطة المرأة العراقية ومؤتمراتها وندواتها في شمال العراق وجنوبه .. كم فرحت حينما علمت بانها احدى المرشحات للمجلس النيابي العراقي لانها تستحقه بجدارة !؟

لقد صدمت مؤخراً وحزنت كثيرا وانا اتصفح المواقع العراقية برحيل المناضلة الفنانة الرائعة زكية خليفة بصمت وهي في ديار الغربة ، ولكن سيبقى اسمها ومبادئها الانسانية خالدة مع الخالدين الى ابد الآبدين ... ولعائلتها وذويها ومعجبيها الصبر والسلوان

بعد سنوات قليلة من عودتي للعراق في منتصف السبعينيات وحينما كنت اقوم بتأدية واجبي في العيادة الاستشارية الجراحية في مستشفى الكندي التعليمي / بغداد تفاجأت بدخولها للعيادة وكانت بصحبة اختها وابن اختها سعدية الزيدي ، ورحبت بها وفرحت لرؤيتها وهي بكامل عنفوانها وشخصيتها القوية

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

عمة زكية : بمن نلوذ

تحسين المنذري

رحلت آخر الكبار ....
رحلت سيدة النضال النسوي العراقي ....
رحلت الشاعرة والمسرحية .....
رحلت المناضلة الكبيرة زكية خليفة الزيدي

تمتد علاقتي بالرفيقة المناضلة زكية خليفة منذ بدايات سبعينيات القرن المنصرم ، يوم كنا لما نزل في بداية عمر الشباب ، وفي بواكير الوعي السياسي ، يوم كنا نحتاج لمن يعلمنا شيئا ، لمن يقدم لنا النصح ، لمن يشد أزرنا ، لمن يدلنا على الطريق ، ولم يكن بيننا اجمل من نموذج المناضلة زكية خليفة ، لم تبخل على احد منا بالحديث ، ولم تعف نفسها من الجواب على أي سؤال ، ولم تفارق الابتسامة وجهها ، يومها كنا نتطلع الى قامتها الباسقة باعجاب ما بعده إعجاب ، إلا إنها كانت تأبى على نفسها إلا أن تتحدث عن بطولات الاخرين ، لم تتحدث عن نفسها الا بالنزر اليسير ، تسوق لنا الامثلة والتجارب والحكايات عن رفاق ورفيقات عاصرتهم وعملت معهم خاصة من رحل منهم ، وحينما تختم حديثها ولكي لا نبتئس لفقدان احد تقول (عمة الكاع ولودة وهسه تشوفون) . وأخذتنا الاحداث والسنون وكانت اللقاءات قليلة لكنها غنية دائما ، الى أن حدثت المأساة بملاحقة نظام البعث الفاشي لنا ، وصار كل منا في ديرة كما يقولون ، هي أعتقلت ولاقت من التعذيب ما لا يتحمله رجال غيرها ، لكنها كما هي شامخة باسقة لم تهزها عواصف البعث وتعذيبه وقسوة الحياة التي عانت ، حتى التقينا ثانية وكانت لقاءات تشبه العمل السري نزورها أو تزورنا ليلا ، نلتقي في بيوتنا المتقاربة ، لاتمل من الحديث عن الوضع السياسي وعن أزمة النظام أيام الحرب مع إيران وأيام غزو الكويت وما بعدها وكل ما يدور حولنا ، لكن لابد للحزب من حصة في هذا الحديث ، لم تفقد الامل ولم تنسَ يوما إن لها حزبا سيعود وسيملأ الارض ورودا ، تلتقط اخبار الحزب من أي مصدر وتحلل المواقف وتستبشر خيرا من كل شاردة وواردة عن وضع الحزب ، كان ظلها ملاذا لنا من هجير ملاحقات أزلام البعث وقردة الامن العام ، تشد من أزرنا وتحكي لنا الحكايات عن ظروف أمرّ وأصعب ، وتعطينا دفعات من التفاؤل ودائما ما ترددِ (عمة الصبر حلو ، لا تأيسون) . هذه هي المناضلة الكبيرة التي عرفت إنها العمة زكية ، رفيقة درب الكثير من مناضلي الحزب الشيوعي ، عملت وناضلت مع كل قيادات الحزب تقريبا على تاريخه الطويل . لم أرَ في كل حياتي إنسانا يحب العراق قدر حبها له ، رغم كل ما قاست وعانت وما مر عليها من ويلات في العراق ومن اجل العراق إلا إنها تتحدث عن الوطن وكأنه طفلها الوحيد المدلل ، أو الحبيب الاوحد الابدي ، وهو كان كذلك بالنسبة لها .

بك ايتها الراحلة الكبيرة المناضلة الرائعة العمة زكية كنا نستجير اذا إشتد الزمن بنا ..... بمَن مِن بعدك نلوذ ؟

زكية خليفة والمسرح السياسي

د. عقيل مهدي يوسف

لم يعرف المسرح العربي، الا في حالات نادرة مثلما عرف مسرحنا في العراق في ستراتيجية التعامل مع المرأة الفنانة حين تكون الصبغة السياسية (الأيديولوجية) هي المتصدرة، وتتوارى الموهبة بإستحياء خلف كواليس الذات.

لعبت الراحلة، زكية خليفة ، ادواراً حاسمة على مسارح الواقع العراقي، وعلى الاخص في مدينة العمارة، التي ولدت فيها، حيث انخرطت في العمل الحزبي، وعانت من الملاحقة، والسجن وكانت ارادتها صلبة، ولم تستكن لروادع السلطات القمعية المتتابعة أو تثنيها من إعلان افكارها، ومعتقداتها جهاراً، وبوجه سجّانها نفسه، وهي تسخر منه حين يتهددها بأساليبه الوحشية أو تنتفض عليه، وتقوم بالاضراب مع السجينات الاخريات، تضامناً مع شقيقها أو رفيقها الرجل في السجون الاخرى، والمدن البعيدة عن سجن النساء، في بغداد، حيث يكون اعتقالها. "ممثلة" ارادت ان تلعب هذا "الدور" ولم تكن على دراية بمناهج الفنون المسرحية، بل ارتقت خشبة المسرح بكيانها الحياتي نفسه، بلهجتها وسمتها وزيها، ولكن بوعيها الأيديولوجي مع عمق أممي، ويندغم مع هموم وطنية، ارادت تقديم مقترحاتها على الارض الطبقية، أو من خلال القيم الثقافية للبنية الفوقية، ولو من خلال دور ثانوي، أو حضور معنوي فوق الخشبة يخاطب شرائح من الناس وينشط فيهم العقل النقدي، او يحفز الفعالية الاجتماعية، للتصدي للجور، والاضطهاد والفقر، والامية وسواها من مثالب لا تليق بكينونة الانسان على العموم والفرد العراقي على وجه خاص.

كنا نذهب لمشاهدة عروض فرقة المسرح الفني الحديث لأنها ابرز الفرق الاهلية نشاطاً وابداعا وتتوفر على ملاك محترف، وملتزم حيث يترأس الفرقة الفنان يوسف العاني الذي مهّد الدرب لزكية خليفة، الانسانة الريفية لكي تتحول الى ممثلة ملتزمة بالخطاب السياسي (اليساري) اولا، واخيرا.

وغالبا ما كان الاستاذ يوسف العاني، يستثمر وجودها، لكي يحاسبها ، على تقصير مفترض او متفق عليه بينه وبينها، لكي يتعظ الفنانون الشباب من هذا الدرس، ويزداد التزامهم ويكرس سلوكهم الفني – المسرحي.

وحين اجتمعنا في العرض، كانت تتحاور معي كثيراً، وتبدي افكاراً انسانية، وتفتح قلبها وكأنها تشعر بوجوب التحاور مع الشباب من اجل ان يزدادوا قناعة بشرعية مهنتهم، ووظيفتها التنويرية في المجتمع.

وفي مسرحية (زيارة السيدة العجوز) من اخراج الاستاذ سامي عبد الحميد، وكنت من بين الممثلين والمشرفين على العرض بعد سفر الاستاذ سامي الى الاردن.

جاءت بفرح غامر لتهنئ ملاك العمل وهي تعلن عن غبطتها ، بعودة فرقة المسرح الفني الحديث الى العمل ، بعد توقف دام أكثر مما يمكن تحمله. وكأنها لم تتغرب كل هاتيك السنين، او كأننا في حوار دائم لم ينقطع، اذ تستأنفه معي، من غير تكلف او تحضير!

هذه الانسانة التي تتحدث، وتناقش في أدق خصائص الفكر السياسي وكأنها (بروفيسور) في العلوم السياسية، تبقي لصيقة انحدارها الاجتماعي الشعبي، وتلكن بلهجة عمارية صرفة، مما يجعلك تشعر بالفخار امام انموذج (ايقوني) متميز، لأمرأة عراقية باسلة.

من كان يظن بأن المرأة العراقية، وهي في هذا السن المتقدم تضطر الى الهجرة في غربة قاهرة، وتبتعد عن الهور و"السجن" وذكرياته برغم مراراتها، الا انه يذكرها بصفحات نضالها من اجل سعادة الناس، وتقدمهم وحقوقهم المتساوية امام القانون، في المعتقد والعمل والسكن والتعليم، ودعتنا المناضلة ، الفنانة ، زكية خليفة، بضميرها الناصع، وامنياتها الوطنية، واحساسها بالمسؤولية تجاه الناس ولو بحضور فني يترجم الى لقطة في "مشهد" مسرحي، او تلفزيوني او "سينمائي".

رحلت عنا، ولكنها باقية في ذاكرة مسرحنا العراقي العريق والملتزم.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

زكيه خليفة من (شنينه) إلى النخلة والجيران

عبد الجبار العتابي

وزكية خليفة محمد الزيدي، وهي شقيقة الفنانة العراقية المعروفة سعدية الزيدي، فنانة وناشطة نسوية عراقية، من مواليد مدينة العمارة / محافظة ميسان في ثلاثينيات القرن الماضي، من رائدات المسرح العراقي وخاصة المسرح الريفي، اشتهرت من خلال تقديمها للبرامج ذات الصلة بالناس ولا سيما اهل الريف الذين اشتهرت لديهم بأسم (شنينة) وهو الاسم الذي كانت تقدم برامجها لهم، وهو ما اقام علاقة وطيدة بينها وبينهم، كما ان مشاركاتها في عدد من اهم الاعمال المسرحية العراقية منحها شهرة وقبولا عند الناس، كما انها تعد واحدة من المناضلات المناهضات للنظام السابق وكان صوتها واضحا في التنديد بأعماله من خلال عملها في الاذاعات خارج العراق الذي عادت اليه بعد نيسان / ابريل عام ٢٠٠٣.

مثلت في عدد من المسرحيات والاعمال الدرامية، وانخرطت في النشاط السياسي منذ أكثر من خمسين عاما، ترأست عددا من المنظمات النسوية منها رابطة المرأة ومنظمة نهضة المرأة، وكما تقول عن نفسها : نشأت في قرية صغيرة ينعدم فيها كل اشكال التعليم وخاصة بالنسبة للفتيات. تمّ اعتقالي ولم يتجاوز عمري الخامسة عشرة وحكم علي بالسجن لمدة عشر سنوات. وفي السجن بذلت جهدي لأتعلم واواصل تعليمي، وبعد خروجي من السجن بعد ثورة ١٤ تموز المباركة عام ١٩٥٨، بدأت ازاول نشاطي السياسي في صفوف الحزب الشيوعي العراقي ورابطة المرأة العراقية بكل طاقتي من اجل رفع وعي النساء وتعبئتهن للدفاع عن الثورة ومكتسباتها. بدأت مع الراحلة الدكتورة نزيهة الدليمي بعقد الندوات التي كانت تبث من التلفزيون بشكل مباشر و شاركت فيها العديد من النساء المثقفات والعاملات وربات البيوت ونالت إعجاب العديد من المشاهدين والمخرجين ومنهم الأستاذ يوسف العاني، الذي كان يشغل منصب مدير الإذاعة والتلفزيون، طلب مني الأستاذ يوسف العاني العمل في فرقة المسرح الحديث، لكني رفضت لإنشغالي بالعمل السياسي. لكنه أصرّ على موقفه وقدم رسالة الى الحزب يطلب فيها الموافقة على إنضمامي الى الفرقة، وبعد موافقة الحزب باشرت العمل في الفرقة رغم إني لا امتلك خبرة كبيرة في التمثيل سوى حبي لشعبي ووطني،واتخذت من خبرة الفنانين الذين سبقوني في مجال المسرح مدرسة لأتعلم منها، تعلمت وعملت بتفان من اجل مسرح يخدم مصالح الشعب ويسهم في رفع وعي المرأة العراقية، وإضافة لعملي في فرقة المسرح الحديث، كنت اقوم بتقديم برامج إذاعية يومية مع الراحل شمران الياسري (ابو كاطع) على سبيل المثال (برنامج الإصلاح الزراعي) الذي كنا نتحدث فيه لأخواتنا الفلاحات وكذا برنامج خاص مع علي تايه وكان اسمي في البرنامج (شنينة)، اتحدث فيه لأخواتنا في الريف، كما كنت اقوم بتقديم برنامج للشعر الشعبي مع الدكتور زاهد محمد.

واضافت : ونظرا لأهمية المسرح ودوره الفعال في توعية الجماهير، طلبت من اعضاء الفرقة أن نقدم عرضا خاصا للنساء في الساعة الخامسة لأن معظم النساء تخشى الخروج في وقت متأخر و تعهدت انا ببيع التذاكر ونجحت التجربة. أي كنا نقدم عرضين، الأول في الساعة الخامسة للنساء والآخر الرئيسي في الساعة السابع مساءاً.

واشـارت الى : كانت اهم اعمالي في فرقة المسرح الحديث مشاركتي مع الفنانة القديرة ناهدة الرماح والراحلة زينب في مسرحية (النخلة والجيران) للروائي الكبير غائب طعمة فرمان، وكان لهذه المسرحية تأثير كبير على المسرح العراقي لأنها عكست ما تعانيه المرأة العراقية من ظلم وإضطهاد،كنت اقوم بدور زوجة فراش المدير، كما شاركت في مسرحية (البستوكة) و(الخان) وشاركت في مسرحية (البيت الجديد) لفرقة مسرح اليوم ومسرحية (رصيف الغضب) التي تتحدث عن المذبحة التي تعرض لها العمال في البصرة على ايدي قوات الأنكليز، وكانت المسرحية لحساب نقابات العمال. كما شاركت بمسرحية (بغداد الأزل) والتي عرضت في الجزائر.

كنت اقوم بتقديم برامج إذاعية يومية مع الراحل شمران الياسري (ابو كاطع) على سبيل المثال (برنامج الإصلاح الزراعي) الذي كنا نتحدث فيه لأخواتنا الفلاحات وكذا برنامج خاص مع علي تايه وكان اسمي في البرنامج (شنينة)، اتحدث فيه لأخواتنا في الريف، كما كنت اقوم بتقديم برنامج للشعر الشعبي مع الدكتور زاهد محمد.
واضافت : ونظرا لأهمية المسرح ودوره الفعال في توعية الجماهير، طلبت من اعضاء الفرقة أن نقدم عرضا خاصا للنساء في الساعة الخامسة لأن معظم النساء تخشى الخروج في وقت متأخر و تعهدت انا ببيع التذاكر ونجحت التجربة. أي كنا نقدم عرضين، الأول في الساعة الخامسة للنساء والآخر الرئيسي في الساعة السابع مساءاً.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1753)
السنة السابعة
الخميس (25)
اذار 2010

أحبت وطنها وشعبها.. ورحلت بعيدة عنهما

(عمة زكية)

محمد اسماعيل

درج المثقفون العراقيون وخاصة اهل المسرح على تسميتها بلقبها المحبب (عمة زكية).

نشأت الفنانة المناضلة زكية خليفة، في عائلة متنورة تعليمياً، وسط بيئة ريفية في احدى قرى العمارة التي يكلكل عليها الاقطاع بتخلفه المتعمد.

فالفنانة زكية خليفة التي رحلت عن عالمنا مؤخرا، ابنة الملا خليفة.. كاتب شيوخ آل ازيرج التي تمردت على ذاك العالم وتبنت الطروحات التقدمية، انتماءً تنويرياً جسدته في ممارسات شعبية اخذت طريقها الى (صرايف) الطين التي جمعت المهاجرين من ضنك الاقطاع في الجنوب الى رحاب بغداد التي حصرتهم بين قوسين (الشروكية) عملاً في ابسط درجات قاع المجتمع البغدادي ابان الاربعينيات والخمسينيات.

ناضلت الفنانة زكية خليفة من خلال فرقة(المسرح الفني الحديث) ومن خلال التعبئة الجماهيرية كناشطة سياسية في رابطة المرأة العراقية ، والحزب الشيوعي العراقي.

عن عطائها قال الفنان فلاح ابراهيم :(امنا التي تعلمنا منها المواقف في الفن والفكر والحياة).

وقال مازن محمد مصطفى :(عندما بلغ التضييق الرسمي اشده على شخص الفنانة الراحلة زكية خليفة، لم تهادن انما لاذت بالصمت وكان صمتاً معبراً.. حتى عادت المناخات الى فاعلية الفكر الجاد، فعادت معها بشباب فكري حيوي، تخطى شيخوخة العمر، من خلال منظمات المجتمع المدني الثقافية و مكاتب الحزب الشيوعي).

الشاعر ابراهيم الخياط، قال: (حققت الفنانة زكية خليفة انتشاراً ابداعياً اضاف للعمل الثوري الجاد في العراق في الملاحقات السرية في الخمسينيات او مابعدها.

اكد الخياط: (دامت ذكرى الفنانة المناضلة زكية خليفة مبعث اندفاع واع نحو مستقبل فكري وسياسي وفني امثل لشرائح الشعب العراقي وطبقاته كافة).

× وفي لقاء صحفي وحديث لها حين ترشحت عن قائمة (اتحاد الشعب) عام ٢٠٠٥ قالت : كرّست كل حياتي لقضية شعبي ووطني

. تعرّفت على الحزب الشيوعي العراقي ولم تبلغ الخامسة عشرة من عمرها عن طريق أخيها المناضل الشيوعي الذي يعرفه ريف العمارة المرحوم مجيد. التقينا بها، فقالت:

– اسمي زكية خليفة محمد الزيدي، مرشحة قائمة "اتحاد الشعب" التي تضم مجموعة كبيرة من المناضلين من شيوعيين وديمقراطيين يساريين ووطنيين، وشخصيات من كل الطوائف والأديان في مجتمعنا العراقي.وقالت بان حاضر أي إنسان هو امتداد طبيعي لماضيه، ومن اجل ان يكون لهذا الماضي عمق في النفس، يجب ان يستوعب الأماني والأهداف التي يعمل من اجلها الإنسان، خاصة إذا كانت هذه الطموحات ذات منفعة عامة، بحيث تستحق حب واحترام الناس، وتتعلق بأماني الشعب وخدمة الوطن.

وكنت، ومن خلال مسيرتي النضالية التي استغرقت ٦٠ عاما نذرتها بالكامل من اجل خدمة شعبي ووطني، ولم يثن عزيمتي الإرهاب والتعذيب والسجن والتشريد. كنت اعتبر ما يقع علي من حيف هو شرف عظيم نذرت نفسي له، مع مسيرة حزبي الشيوعي العراقي وشعبي، من اجل تحرير بلادي من الاستعمار والتبعية والحكم الإقطاعي الرجعي. لقد عملت بجد، مع غيري من المناضلات العراقيات الباسلات، لخلاص نصف المجتمع، واعني المرأة العراقية، من القيود المكبلة بها، والتي حرمت طوال عقود من السنين من أبسط حقوقها الطبيعية، وهمش دورها، حتى على مستوى العائلة.

واصلت النضال ولم يساورني اليأس او فقدان الأمل بحتمية انتصار إرادة شعبي ونهوضه، وكنت في كل يوم أتوقع ان الخلاص من النظام الدكتاتوري الفاشي الملطخة يداه بدماء شعبنا آت لا محال. واليوم وقد استحق الوفاء لدين كبير في رقابنا، من اجل حماية تلك المسيرة المظفرة لشعبنا، ورفع الذل والهوان عنه، وإعادة السيادة التامة لوطننا، فانني أجد في قائمة "اتحاد الشعب" التي شرفتني ان أكون واحدة من مرشحيها، مع الصفوة الخيرة من بنات وأبناء شعبي، الذي يشهد لهم تأريخهم النضالي بتضحياتهم من اجل حرية الوطن وسعادة الشعب، وما قدموه من تضحيات وما عانوه من اضطهاد وقمع وسجن وتشريد، فيحق لهؤلاء الجديرين ان يكونوا نوابا عن الشعب. إن قائمة "اتحاد الشعب" هي المعبر الحقيقي والصادق عن أماني شعبنا وتطلعاته المستقبلية.

وتستطرد الرفيقة زكية خليفة، فتقول: إن ما تضمنته قائمة "اتحاد الشعب" وبرنامجها الانتخابي يعبر عن أماني شعبنا على اختلاف أديانهم وانتماءاتهم القومية، وحي لم يأت من فراغ، بل جاءت نتيجة لثمرة ذلك النضال المجيد، وهذا ما يدفعني وبلا هوادة وبجهود مضاعفة ان أنجز ما قطعته على نفسي، وهو خدمة شعبي ووطني. وسأناضل مع رفاقي من اجل بناء العراق الجديد واستكمال سيادته وتعزيز وحدته الوطنية، وإشاعة الديمقراطية، ومن دستور دائم يضمن حقوق كل الأطياف والقوميات العراقية، ويحقق المساواة التامة بين الرجال والنساء، ويرسي السلطة على أساس فيدرالي، ويحمي وحدة الوطن.

اسمي زكية خليفة محمد الزيدي، مرشحة قائمة "اتحاد الشعب" التي تضم مجموعة كبيرة من المناضلين من شيوعيين وديمقراطيين يساريين ووطنيين، وشخصيات من كل الطوائف والأديان في مجتمعنا العراقي.

وقالت بان حاضر أي إنسان هو امتداد طبيعي لماضيه، ومن اجل ان يكون لهذا الماضي عمق في النفس، يجب ان يستوعب الأماني والأهداف التي يعمل من اجلها الإنسان، خاصة إذا كانت هذه الطموحات ذات منفعة عامة، بحيث تستحق حب واحترام الناس، وتتعلق بأماني الشعب وخدمة الوطن.

حورية الهور

(الى العمة زكية خليفة – الاسطورة السومرية)

مهدي الشمسي

للبحر حورية
للنهر حورية
وللهور حورية

حورية البحر : أكذوبة صيادين
حورية النهر : رأس مال المفلسين
حورية الهور : رأيتها بأم عيني

صبية
فاتنة
فارعة الطول
تذود عن حياض السومريين
أضاعوها قومها عند دائرة للرقص
حول بيادر غلة الفقراء والمحرومين
تسللت فجرا (لطرادتها)×
حلت رباطها
وثبت عليها
ثم غرزت (المردي)×
في جوف الهور
في قلب التأريخ
لتولد من جديد
زكية الحورية
عاشقة البردي
صديقة ال (الحذاف)×
محبوبة المساكين
عروسة الفجر
نيرة الفكر
أمينة السر
نصيرة المظلومين

× × × × × × × ×

وذات شجار
بين الهور وبين المنفى
علقت جدائل زكية
تخضبت جبهتها
بدم الوطن
بدماء الحرية
من يقتل المنفى ؟
من يطعنه بقصبة سومرية
كي نستعيد حوريتنا
ونزفها عصرا
لعشيقها الهور وننثر (الواهلية)×

وندعو الفقراء لوليمة كبرى
من سمك (الطابك)× و(السياح)× و(الرصاع)×
تصنعه بيديها العروسة زكية
بين الهور وبين المنفى
جدل لم يحسم بعد
لمن تعود الحورية؟

× × × × × × × × ×

للذي يشتاق لوجه أمه
ولايرى بقربه نخلة
فليرى وجه زكية
للذي نسي طعم البرحي
وصوت حبيبته
فليستمع لدعاء زكية
للذي يبكي على وطن مسجى
عليه بصبر زكية
للذين أضاعونا وهم يتقاسمون إرثنا
فالإرث الكبير زكية
غدا سنبحر معها
صوب الشمال
وصوب الجنوب
وصوب القصب
للبحر حورية
وللنهر حورية
وللهور زكية
اسطورة سومرية

الهوامش

× الطرادة : قارب صغير وسريع يستخدم للتنقل عبر ممرات القصب الضيقة
× الحذاف : نوع من طيور الهور صغيرة الحجم وتتصف بسرعة طيرانها وخفتها
× المردي : عصا قوية وطويله تغرز في قاع الهور لتحريك القارب
الواهلية : هي الحلوى التي تنثر في المناسبات
× الطابك : من اكلات الجنوب اللذيذة ، حيث يوضع السمك بين طبقات عجينة دقيق التمن
والذي يوضع على قرص دائري من الفخار مرفوع على قطع فخارية صغيرة
وتضرم النار تحت القرص .
× السياح : خبز دقيق التمن ويكون على شكل رقائق خفيفة ومثقبة تقدم عادة مع الحليب صباحا
× الرصاع : خبز دقيق التمن ويكون اسمك من السياح

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب